

## التدعيش المجتمعي يؤدي إلى «عدالة» طائفية

السيرة؛ لأنها أموال مسيحيين. قبل أن تتعجب راجع مواقف آباء السلفية الجهادية التكفيرية ونظرتهم إلى المسيحيين باعتبارهم كفارا أموالهم حلال. في عام 1981 ترجم تنظيم "الجهاد" فتوى عمر عبدالرحمن باستحلال المسيحيين، فقتل مسيحيين في نجع حمادي، وسرق أربعة من محلات الذهب؛ للإيقاع على "الدعوة إلى الله". وفي العام نفسه استولى التنظيم على محلين للذهب مسيحيين في القاهرة. وبعد يوليو 2013 استحل الإخوان المسلمون وأنصارهم الدماء، وحرقوا العشرات من الكنائس، وبقرارات للنيابة العامة سُتحل أعمار معتقلين يُسجنون احتياطيا لفترات مفتوحة، ولا يُقدمون للمحاكمة. قدر "سيدة الكرم" سعاد ثابت أنها مسيحية، فاصابها ظلم مضاعف، من مجرمين هتكوا عرضها، وقضاء لم يصفها. في مايو 2016 شهدت قرية "الكرم" بمحافظة المنيا اعتداءات على سكان مسيحيين، وتم حرق سبعة منازل، وتعرية السيدة (70 عاما). مشهد يتكرر في الصعيد وفي غيره، ولا يحسم بقوة القانون، ويتم تجميده بهدنة عشائرية لا تصمد. السيدة حددت ثلاثة جزئوها من ثيابها، ولكن النيابة قررت أن لا وجه لإقامة الدعوى. وقبلت محكمة الاستئناف تظلم المجني عليها، وحولت القضية إلى المحكمة التي تختت، وأحيلت القضية إلى دائرة أخرى حكمت غيابيا بالحبس عشر سنوات على ثلاثة بتهمة هتك العرض. وأعيدت المحاكمة، وصدر الخميس 17 ديسمبر الجاري حكم ببراءتهم.

**الحكم بالبراءة في هذه القضية يدفع إلى فقدان الثقة بالعدالة، ولو استُهدف مظلوم بهذا الحكم فلن يتردد في الانتقام**

الحكم بالبراءة، في مثل هذه القضية، يدفع الناس إلى فقدان الثقة بالعدالة. ولو استهدف مظلوم بمثل هذا الحكم، ثم وجد في نفسه قدرة على الانتقام، فلن يتردد في انتزاع حق فشل في نياله بالقانون. لم تكن "سيدة الكرم" تريد أكثر من الانتصاف، والشعور بأن مؤسسة العدالة سترتها. ثم أتت الحكم ببراءة المعتدين المسلحين، ليعد مشهد الإهانة وقلبة الحيلة. ويؤكد قوة الإرهاب المجتمعي. ولم تملك الضحية إلا البكاء الهستيري، وقالت "حقي عند ربنا". ثلاث كلمات تذكر بدموع طفل سوري عام 2013، كانت حروف الكلمات تتناثر من شفطيه، ويجوز عن السيطرة على دموعه، ويلخص شكواه في أربع كلمات "ساقول لله كل شيء".

المرارة التي استقبل بها حكم البراءة دفعت النيابة العامة، في اليوم التالي، الجمعة 18 ديسمبر 2020، إلى إصدار بيان مقتضب من 32 كلمة، لامتصاص غضب الناس "أمر السيد المستشار النائب العام بتكليف المكتب الفني بمكتبه بدراسة أوجه الطعن على الحكم الصادر ببراءة المتهمين في الواقعة المعروفة بواقعة: سيدة الكرم، وذلك فور إيداع محكمة الجنائيات التي أصدرت الحكم أسبابه". وتظل هذه القضية عنوانا لنزوع طائفي مجتمعي، وبعد الاضطرار العادل للمجني عليها، يجب الاستئصال على ما وراء هذا العنوان، وتفكيك الخطاب الطائفي المشجع على استباحة مواطنين، عقابا على أنهم يعتقدون ديننا مختلفا، في بلد تنص المادة الثانية في دستوره على دين للدولة.



الضيمر هو القاضي

سعد القرش  
روائي مصري

الحكم القضائي بتبرئة ثلاثة متهمين بتعرية سيدة مسيحية بثير عدة شجون. أولها خطأ ثورة 25 يناير 2011 بتاجيل حسم المادة الثانية الطائفية في دستور أنور السادات، ونقلها مزيدة غير منقحة إلى دستور الإخوان ثم إلى دستور 2014. والثاني هو نجاح الثورة في نزع القداسة عن مثلث كان الإقتراب منه محرما، ويضم مؤسسات الجيش والقضاء والأزهر. والثالث هو أنسنة الأحكام القضائية، وإنهاء مقولة "الحكم عنوان الحقيقة"، ففي أحكام القضاء لا توجد "حقيقة مطلقة"، بل حكم تقديري بشري، ويحق للنيابة ولاي من أطراف القضية الطعن عليه، وإعادة النقاضي أمام هيئة قضائية أخرى، قد تقضي بحكم ينسخ حكما كان وقت صدوره "عنوان الحقيقة".

أنسنة القضاء لا تمس هيبته. والنظر إلى القضاء من زاوية "بشرية" ينسف أوهاام القداسة، ويرى القضية ثمرة مجتمعاتهم. مجتمع القانون يُخرج قاضيا منضبطا يعرف أنه ليس فوق القانون، وأن سلوكه مراقب، وأنه غير محصن من الوقوع في أخطاء أخلاقية تؤثر في أحكامه. والمجتمع الفوضوي المنفلت يخرج قاضيا يورث البلطجة إلى ابنه الصبي فيفقد سيطرة مخالفا قواعد السير، ويقلد أخلاق أبيه القاضي فيهيئ شرطيا ويسببه. وليس أشهر في مصر من رجل انتخب رئيسا لناد رياضي، واستغل حصانته البرلمانية خارج البرلمان، بالخوض في أعراض المعارضين السياسيين ولاعبى الكرة، وقذف زوجاتهم وأمهاتهم. هذا الرجل، الذي لا يتخلى عن لقب "المستشار"، كيف كان قاضيا؟

في تجديد الخطاب السياسي كتبت عدة مرات أن من ينصت إلى خطاب عبدالفتاح السيسي، بموضوعية، يتصور أنه أحد الولاة على إمارة إسلامية لا رئيسا لأقدم دولة. ولم يتغير خطابه السلفي، ففي مؤتمر صحافي في باريس مع الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون فرق السيسي بين القيم الدينية وحق الإنسان في الحرية، رافضا الاتتهك الأولى انتصارا للثانية، فكانت "القيم الدينية أعلى كثيرا من القيم الإنسانية. القيم الإنسانية هي قيم نحن عملناها"، أما الدينية "فهي مقدسة". وفي هذا يعترف بأن القيم الدينية ضد القيم الإنسانية، فالأولى تُسقى البشر؛ لأنها تخالف القيم الإنسانية. فهل يتراجع العالم عن قيم ارتقت إليها الإنسانية مثل تجريم الرق؟

الخطاب السياسي المصري دال على حالة من السيولة تتجاوز الفكر إلى الممارسة، فليس النظام دنيا، أو عسكريا، أو دينيا، وإنما هو خليط من ذلك كله. النظام يعارض الأزهر في قضية بثيره السياسي شخصيا مثل دعوته عام 2017 إلى إلغاء الطلاق الشفوي، ويتفق مع المؤسسة الدينية في أمور أخرى. وتحديد الخطاب ليس عبثا، والأزهر يعي ما يترتب على تقنين المصطلح، حتى أن ممثلية في لجنة صوغ دستور 2014 رفضوا النص على أن مصر "دولة مدينة"، وبعد جدال استبدلوا به أن مصر "حكومتها مدنية" في ديباجة الدستور الملعوم. فما الفرق بين خطاب السيسي بباريس 2020 وخطاب محمد مرسي عام 2012 في طهران؟

يُنخث الخطابان السياسي العشائري والسلفي الطائفي مجتمعا داعشيا. تصلني احتيالات مصريين وعرب في أوروبا، يفخرون بمهاراتهم في استحلال

## كرة القدم النسائية تقاوم التحريم في المجتمعات الإسلامية

أرض الصومال الانفصالية تلغي بطولة للنساء بذريعة تعارضها مع الدين



لعبة جميلة تحاصرها أفكار بغيضة

ولا يرون فيها سوى جسد من دون عقل. وغردت ماريا غهير من القرن الأفريقي للأبحاث ودراسة السياسات إن حظر البطولة يعد انعكاسا واضحا لموقف الحكومة تجاه النساء. كما اعتبرته نتيجة لنقص تمثيل المرأة في الحكومة، مما يقوّض التعبير عن موقف النساء بشأن قضايا مثل هذه.

ويشار تحريم كرة القدم في عدة مجتمعات إسلامية من قبل حلفاء دينية متشددة ومغالية، تعتبر أن ممارسة الفتيات لهذه الرياضة قد تؤدي إلى فقدانهن لغشاء البكارة، فيما يشترط البعض منهم أن تكون ممارسة الرياضة في مكان معزول بعيد عن أعين الرجال ما في ذلك من "إثارة للرجال وإظهار لمفاتن النساء".

ويقدم معارضو كرة القدم النسائية حجة مفادها أن "ما يبدأ صغيراً يمكن أن يكبر"، إذ النساء ما إن يبدأن في ممارسة كرة القدم سيرتدين الثياب "الفاضحة"، ويفتقن وقتاً "لا داعي له" خارج البيت، وتزيد فرص اختلاطهن بالرجال. وسبق أن تهكم الداعية السوداني المتشدد عبدالحى يوسف على ممارسة الفتيات لكرة القدم معبرا عن استغرابه من إقامة دوري للسيدات، قائلا "كأن رجالنا الذين يلعبون الكرة قد رفعوا اسم البلاد ونالوا الكؤوس، وفرغنا من أمرهم، فذهبنا إلى النساء".

وأكد أنّ الحكومة السابقة طلبت من هيئة علماء السودان فتوى بشأن إقامة دوري نسائي لكرة قدم، غير أنّ الرد كان بالمنع سداً للذرائع.

ولم يكن رأي الداعية السوداني سابقة من نوعه، فقد صدرت قبله وبعده عدة فتاوى غربية تحرم على النساء حتى مشاهدة كرة القدم، ومن بينها فتوى لرجال دين في ولاية أوتاوا بمرادش الواقعة شمال الهند.

وقال عطار قاسمي، المفتي في أحد أكبر المراكز الدينية، في بلدة ديوبند "يُنعم على النساء مشاهدة اللاعبين وسيقاتهن وركبهن عارية" مشيرا إلى أن ذلك يتنافى مع شريعة الإسلام.

وانتقد قاسمي الرجال الذين يسمحون لزوجاتهم بمشاهدة كرة القدم، حتى ولو كان ذلك من خلال التلفزيون قائلا "ليس لديكم حياة؛ لماذا تشاهد النساء كرة القدم؟ وماذا سيجنين وهن يشاهدن سيقان الرجال؟"، مشيرا إلى أن النساء ستتهنم فقط بذلك ولن يتابعن حتى نتيجة المباراة.

ولا يمثل التمييز ضد النساء لكرة القدم سوى جزء من نمط أوسع من

تتوسع دائرة التحريم المبنية على أفكار ومسوغات التيارات الدينية المتطرفة لتطوق الرياضة الأكثر شعبية في العالم، ولا تنتهي فتاوى التحريم عند المطالبة بمنع النساء من ممارسة كرة القدم، بل تضع سباجا من القيود التي تخنق المسلمين، وتحول كل ما أبدعه الإنسان المعاصر من وسائل ترفيه إلى تطاول على الدين.

وتنظمت امون أدان، وهي رياضية ومدافعة عن حقوق المرأة وسيدة أعمال، البطولة. وقالت إن السلطات أعطتها الضوء الأخضر لأول مرة خلال الشهر الحالي.

وذكرت أن القرار تآثر في وقت لاحق بشكاوى الزعماء الدينيين بعد بث صور اللاعبات وهن يتدربن، مضيفة أنهن كن يرتدين ملابس لائقة.

وتابعت في حديثها لوكالة رويترز "مثل هذا القرار يمثل إنكارا لحقوقنا كنساء. لم نرتكب إثما. فما اتبعناه في التدريب ليس شيئا جديدا. كانت أجسام النساء مغطاة بالكامل".

وأدان هي المؤسسة المشاركة لمركز صحي وترفيهي يهدف إلى تمكين النساء والفتيات من خلال التمارين البدنية في هرجيسا. وقالت إن سلطة أرض الصومال تجاوزت العالم الإسلامي، إذ "تقام بطولات كرة القدم النسائية في بلدان إسلامية أخرى. وأنا أشجع الحكومة على إعادة النظر حتى تتمكن النساء من ممارسة الرياضة والتمتع بحقوقهن بحرية".

وأعلنت أرض الصومال، التي يبلغ عدد سكانها حوالي 4 ملايين نسمة، استقلالها عن الصومال سنة 1991 بعد حرب أهلية، لكنها لم تلق اعترافا دوليا. وفي مناطق أخرى من الصومال، يُسمح للنساء بلعب كرة القدم وممارسة أشكال أخرى من الرياضة في أماكن خاصة. ومثل معظم أنحاء الصومال، تواجه النساء في أرض الصومال سيلا من التحديات بسبب الفقر والثقافة العشائرية التي تعزز السلطة الذكورية الصارمة.

ووفقا لهيئة الأمم المتحدة للمرأة المعنية بالمساواة بين الجنسين، تعاني الصومال من ارتفاع معدلات الاعتصاب وختان الإناث وزواج القاصرات، كما يبقي تمتع النساء بالعدالة محدودا.

وأثار إلغاء البطولة انتقادات سريعة من نشطاء حقوق المرأة على وسائل التواصل الاجتماعي، واعتبر الكثيرون منهم أن تحريم كرة القدم على النساء والقيود المفروضة على ممارسة النساء للرياضة عموما تمثل انتهاكا لحقوق المرأة ومحاولة لفرض وصاية عليها

لنحذ - ما زالت كرة القدم النسائية من المواضيع المثيرة للجدل في عدة مجتمعات إسلامية، ورغم ما حققته العديد من اللاعبات المحترفات من إنجازات في هذا المجال، إلا أن فتاوى التحريم تطوق هذه الرياضة وتعيق القوانين والتشريعات تحقيق المساواة بين الجنسين في ممارسة الرياضات. وأعلنت مؤخرا منطقة أرض الصومال الانفصالية إلغاء أول بطولة في كرة القدم للنساء بسبب تعارضها مع القيم الإسلامية، ما أثار غضب الجماعات المناصرة لحقوق المرأة. وكان من المتوقع أن تبدأ بطولة كرة القدم النسائية في أرض الصومال بمشاركة ستة فرق تمثل المقاطعات في العاصمة هرجيسا.

لكن، مدير الرياضة في وزارة الشباب والرياضة، عبدالرشيد عبيد، أشار إلى أن السلطات اختارت أن تلغي الحدث الذي كان سيستمر سبعة أيام لأنه غير إسلامي.



ياسر إبراهيم  
إلغاء الشعوب عما ينفعها بهذا النحو من تدمير هذه الأمم



عبدالحى يوسف  
كان رجالنا قد نالوا الكؤوس وفرغنا من أمرهم، فذهبنا إلى النساء

وقال في مؤتمر صحافي "الغيناها (البطولة) لأنها لا تتماشى مع القيم والأعراف الإسلامية. بعد الغضب الشعبي، بما في ذلك من الشيوخ، اتفقنا على تعليقها. شاهد الجميع نساءنا يلعبن خلال الدورات التدريبية على التلفزيون ومنصات التواصل الاجتماعي. لا نريد ذلك أبدا".

وتشير هذه القضية إلى الطبيعة المعقدة للسلطة في الصومال ودولة أرض الصومال، وإلى اضمحلال الفواصل الواضحة بين رجال الدين والحكومة.